المقال السادس

تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر

بدأ تأسيس الكنيسة المشيخية في مصر سنة 1854م، وذلك بمجيئ مجموعة من المرسلين من الكنيسة المصلحة ( المشيخية) في أمريكا. ولا يعني هذا التاريخ أن العمل الإنجيلي لم يكن له وجود قبله، ولكن الحقيقة أن محاولات عديدة- قبل هذا التاريخ بقرنين من الزمن- قد بُذلت من قِبل بعض المرسلين ولكنها لم تنجح.

أيضاً، قبل هذا التاريخ- 1854م- كانت هناك جهود تُبذل من قِبل الكنيسة الإنجيلية الإنجليكانية (الأسقفية) لنشر الكتاب المقدس وتعليم الإيمان المسيحي للشباب بهدف إنهاض الكنيسة القبطية، وليس لتأسيس كنيسة أسقفية. كان هذا في البداية، إلا أن الوضع قد تغير بعد ذلك عندما طلب عدد كبير من العاملين في مدارس ومستشفيات الكنيسة، للإنضمام إلى عضوية الكنيسة الأسقفية.

منذ سنة 1854م، بدأ المرسلون الأمريكان إلى الوفود إلى مصر، حتى وصل عددهم في سنة 1861م إلى أربعة عشر مرسلاً مع زوجاتهم- ويبدو أن هدفهم كان التبشير بين المسلمين... ولما كان هذا الأمر في غاية الصعوبة، فقد تحولوا إلى الكنيسة القبطية لإيقاظها ( بحسب تعبير الدكتور يوحنا هوج أحد المرسلين المشيخيين، الذي كانت له جهود جبارة في توطيد دعائم البروتستانتيين في مصر). في ذلك الوقت، كان تعداد المصريين أقل من خمسة ملايين، منهم حوالي 300.000قبطي. وبالطبع، يسهل التأثير على الآلاف (من الأقباط) منه على الملايين (الأغلبية المسلمة).

إنشاء المدراس

دائماً ما يرتبط العمل المرسلي بإنشاء المدارس (والمستشفيات)، لتعليم البنين والبنات. وقد أنشأت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة للبنين في القاهرة سنة 1855م، وأول مدرسة للبنات في حارة السقايين سنة 1860م. واستمر إنشاء المدراس في أماكن عديدة، سواء في القاهرة أو خارج القاهرة، حتى وصل عددهم سنة 1896م إلى 168 مدرسة (33 للبنين، 35 للبنات)، وبلغ عدد تلاميذ تلك المدراس حوالي 11000 تلميذاً وتلميذة. وفي هذا يقول الدكتور وطسن- أحد المرسلين الأوائل الذي بذل جهود عظيمة في إرساء البروتستانتية في مصر- يقول:

" إن المدرسة هي المدخل الوحيد إلى المدينة، وبها تنشأ جماعة بروتستانتية صغيرة. كما كتب الدكتور هوج في يناير 1861م عن عمله في المدرسة : "ليس قصد مدرسة الإرسالية مجرد تهذيب العقل وتحسين الآداب وتعليم المبادئ الدينية ولكن غرضها الأساسي والأول هو إعداد وطنيين يقومون بهذا العمل العظيم. ومن رأيي أن شغل المرسل في المدرسة ينبغي أن لايرمي إلا إلى غرض واحد وهو إعداد مصلحون ومبشرون وخدام للكلمة".

بداية العمل الإنجيلي في القاهرة

في درب الجنينة بالموسكي، عُقدت أول خدمة في نهاية سنة 1854م. كانت الخدمة باللغة الإنجليزية بقيادة القس بارنيت حول الآية (2كو13: 14) " نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ ". وبعد حوالي شهر في يناير 1855م، كانت الخدمة باللغة العربية بقيادة القس بارنيت أيضاً- وكان الحضور نحو 20 شخصاً، بعضهم جاء بدافع حب الاستطلاع. وجاء عام 1860م ليشهد تأسيس أول كنيسة إنجيلية في مقر الإرسالية بدرب الجنينة بالموسكي. وفي سنة 1876م، انتقلت الكنيسة في مبنى جديد بالأزبكية. بعدها، تم بناء كنائس إنجيلية في عابدين والمعادي والقللي والفجالة وشبرا مصر والملك الصالح ومصر الجديدة ومنشية الصدر والعباسية وحلوان..... الخ- كان ذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين. وقد بلغ عدد الكنائس الإنجيلية في نهاية القرن التاسع عشر 44 كنيسة.

في السطور القليلية التالية، نتكلم عن واحد من المبشرين الأمركيين، والذي كانت له جهود جبارة في نشر المذهب البروتستانتي المشيخي في مصر.

الدكتور هوج والخدمة في أسيوط

يقول الأستاذ رياض سوريال في كتابه "المجتمع القبطي"عن القس الأسكتلندي يوحنا هوج إنه كان بمثابة الدينمو للحركة البروتساتنتية في مصر... فقد كان في عمل متواصل بالقاهرة قبل أن ينتقل إلى اسيوط. وبهذا الصدد قال الدكتور هوج في أحد خطاباته :" إني قد اشتغلت هذه السنوات الثلاث –في القاهرة- أضعاف كل شغلي الشاق في مناجم الفحم، ففي تلك الأيام لما كان ينتهي النهار، كنا نغسل أيدينا ونبدل ملابسنا ونصلح فؤوسنا. ولكن هنا ليس راحة البتة".

وتقول ابنته "ريتا" وهي تحكي تنقله بالسفينة الذهبية (العوامة أيبس) من القاهرة إلى أسوان خلال شهرين، تقول:" زار في سياحته هذه 63 قرية ومدينة وقطع ذهاباً وإياباً 1160ميلاً بالذهبية (200 ماشياً أو راكباً) وباع الكتاب المقدس في 40مكاناً وشرحه في 50 وأقام خدمة رسمية في 7 وتحادث في المسائل الدينية مع 62 كاهناً قبطياً ونحو 50 راهباً وأسقفين وترك ثلاثة موزعين في مراكز مختلفة ليداموا على العمل بعد سفره، وبلغ عدد الكتب التي باعها 430 نسخة بمبلغ 115ريالاً، وفي كل مكان كان الأقباط يرحبون به ويرجونه أن يبقى عندهم أو يعيد زيارته لهم قريباً".

أما عن بداية خدمته في مصر، فقد وصل إلى الأسكندرية في 6/12/1856م. وبعد أسبوع (15/12) افتتح مدرسة في حجرة مظلمة ورطبة – التحق بها خلال ستة أشهر16 تلميذاً. وأثناء ذلك كان يتابع دراسة اللغتين العربية والإيطالية ... وخلال أشهر قليلة، أصبح أميناً لصندوق الإرسالية الأسكتلندية في الأسكندرية إلى جانب قيامه بالأعمال الإدارية.

وفي 3يناير1865م، صُرح للدكتور هوج بالذهاب إلى أسيوط (وقد بقى فيها حتى وفاته في 19 فبراير 1886م، ودفن في بلدة دركنة في مقبرة شيدت على نفقة الخواجا بقطر). وحالاً، افتتح في مسكنه مدرستين واحدة للبنين (4تلاميذ) وأخرى للبنات (تلميذتين). كان ذلك داخل غرفتين بالمنزل فرشتا بالحصير وعلقت على جدرانها بعض الخرائط. وقد استطاع بعد ذلك بسنوات أن يطور مدرسته الأولى لتكون "كلية أسيوط الإنجيلية" التي كانت بمثابة مركز إشعاع ديني وعلمي في مصر، فقد أتاها التلاميذ من جميع أنحاء البلاد. ومن تلاميذها، تخرج الكثيرون من القسس والمبشرين والمدرسين وقادة البلاد.

وفي سنة 1870م، تم تشييد الكنيسة الإنجيلية غرب البلد .. بعدها، أسس أعضاء هذه الكنيسة كنائس عديدة في بعض القرى المحيطة بأسيوط. وبسبب الاهتمام بتقديس يوم الرب (الأحد)، قام المسيحيون بجهود لتغيير ميعاد السوق الأسبوعي من السبت إلى الأحد.

وكان الدكتور هوج في غاية الحكمة في معاملته للأقباط، فقد كان يذهب صباح الأحد إلى الكنيسة القبطية في أسيوط كالعادة. بعدها يرجع إلى مدرسته ويشرح للتلاميذ والسامعين الآيات التي سمعها في الكنيسة القبطية (إنجيل القداس). وكأنه بهذا العمل، يُشعر الجميع بأنه لافرق بين الأرثوذكسية والبروتستانتية- وقد كان لذلك مردود إيجابي، إذ ازداد عدد الحاضرين الذين يسمعوه إلى خمسين شخصاً.

وبعدها جهاد عظيم في الوعظ والتبشير وإنشاء الكنائس وتأليف الكتب... توفى في 19فبراير 1886م ودفن في بلدة أسيوط (كما سبق أن ذكرنا).

تنظيم الكنيسة ومدرسة اللاهوت

انتشرت البروتستانتية في مصر ... زاد عدد الكنائس وكذلك المدارس ... كما انضم إلى المذهب المشيخي (الذي يمثل غالبية الشعب البروتستانتي) طوائف وكنائس أخرى مثل كنيسة نهضة القداسة والأخوة والكنيسة الرسولية والخمسينية.. الخ. وبإمتداد العمل الإنجيلي المشيخي في أنحاء مصر، تم تقسيم البلاد إلى مجامع ( أو إيبارشيات) – وصلت حالياً إلى ثمانية مجامع هي: القاهرة – الدلتا – مصر الوسطى- المنيا – ملوي- أسيوط – سوهاج – الأقاليم العليا.

أيضاً، قرر المجمع المشيخي سنة 1863م، إنشاء مدرسة لاهوتية إنجيلية، لإعداد رعاة وكارزين وطنيين. وهكذا وجدنا في سنة 1864م ما سُمي بـــ " صف اللاهوت" في عوامة الدكتور هوج. وكان الصف يتنقل تبعاً لتنقل المرسلين، إلى أن استقر في مكانين:

أسيوط: حيث كان الدكتور هوج يقوم بالتدريس للصفين الأول والثاني.

القاهرة: حيث كان الدكتور أندراوس وطسن يقوم بالتدريس للصفين الثالث والرابع.

**والدكتور وطسن** من أشهر المرسلين الذين خدموا في مصر، فقد استمر في التبشير مدة 55سنة، كما كان مديراً لمدرسة اللاهوت الإنجيلية لحوالي 30 سنة (1886- 1916). وهو الذي جاهد إلى أن استصدر أمراً من الخديوي سنة 1902- به تعترف الحكومة رسمياً بالطائفة الإنجيلية.

بعدها، استقر "صف اللاهوت" نهائياً بالقاهرة، وأصبحت سنوات الدراسة ثلاث سنوات، وتغيير اسمه إلى مدرسة اللاهوت.

وفي سنة 1919م قرر السنودس الإنجيلي بمصر، تشكيل لجنة لدراسة مشروع إقامة مبنى خاص لمدرسة اللاهوت... وتم شراء قطعة أرض وبنائها، واُفتتح المبنى في سنة 1927م (وهو الموجود حالياً بشارع السكة البيضاء بالعباسية).

امتداد الخدمة إلى شمال وجنوب السودان

في آخر القرن التاسع عشر ( وبالتحديد سنة 1899م) سافر بعض المرسلين التابعين للإرسالية الأمريكية، لدراسة الوضغ في السودان وكتابة تقرير إمكانية بدء العمل الإنجيلي هناك. وبعد عدة شهور، عاد اثنين منهم وقدما تقريراً إلى الإرسالية... وكان أن وافقت الجمعية العمومية لللإرسالية على تعيين مرسلين، يذهبون إلى منطقة على نهر السوباط (560 ميل جنوب الخرطوم) للعمل وسط قبائل الشولا.

وفي سنة 1901م، خدم المرسلون في " أم درمان" وكان يرافقهم قس مصري. وقد سبقهم في الخدمة هناك، مرسلين من الكنيسة الأسقفية. وأثمر جهود هؤلاء الرواد من المرسلين على تأسيس الكنائس الآتية:

* كنيسة الخرطوم: تأسست سنة 1904م، وكان القس المصري جبرا حنا أول راعي لها.
* كنيسة أم درمان: تأسست في عشة من البوص سنة 1904 م، وألحق بها مدرسة للبنين سنة1907م.
* كنيسة الخرطوم بحري: أُقيمت مدرسة للبنات سنة 1907م، وداخل المدرسة كانت الكنيسة... وقد ظل الوضع هكذا حتى تشيد مبنى الكنيسة الحالي سنة 1960م.
* كنيسة عطبرة: بدأ العمل في المدينة سنة 1907م على يد القس إبراهيم جرجس الدويري.
* كنيسة واد مدني: بدأت الخدمة سنة 1912م، أما المبنى الحالي فقد شيد على نفقة المقاول اليوناني المشيخي كوليانجي سنة 1939م.
* كنيسة بورسودان: بدأ العمل بها القس طوبيا عبد المسيح سنة 1918م.
* كنيسة القضارف: بدأ العمل بها سنة 1938م، وكانت تتبعها مدرسة.

أما في جنوب السودان، فقد بدأت الخدمة الإنجيلية بها سنة 1902م بين قبيلة الشلوك، في خيمتين من القماش. وبسبب صعوبة اللغة- التي لم يكن يعرفها المرسلين- بدأت الخدمة بتقدم المحبة المسيحية في صورة الخدمة الطبية. وكان أن أثمر ذلك ببناء أول كنيسة سنة 1903م في "تل دوليب" من الطين على مساحة 45متر. وأول رجل عُمد كان في سنة 1913م، والثاني سنة 1917م- وفي سنة 1923م كان عدد الكنيسة 200 عضو.

وكانت "ملكال" هي المركز الثاني للخدمة وسط قبيلة الشلوك (صارت فيما بعد مركز العمل لكل جنوب السودان). وقد أقيمت كنيسة سميت " الكنيسة المتحدة، التي اشترك في بنائها الإرسالية الأمريكية والكنيسة الأسقفية والكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وقد اهتم سنودس النيل الإنجيلي سنة 1948م، بالعمل في جنوب السودان، وأرسل بعض الخدام للعمل وسط القبائل. وكان أول مرسل مصري القس سويلم سيدهم، الذي سافر إلى هناك سنة 1953م. وكانت خدمته تشمل 30 قرية... وقد ترجم أجزاء من العهد الجديد إلى لغة الشلوك. وخلال سبع سنوات، كان قد عمد حوالي 1000 نفس من عدة قبائل. حقاً، كانت الإرسالية المصرية عظيمة ومؤثرة في تلك البلاد، التي لم يعرف أهلها شيئاً عن الله.

**المراجع:**

1. تاريخ الكنيسة الإنجيلية في مصر- إعداد أديب نجيب سلامة- دار الثقافة.
2. المجتمع القبطي في مصر في القرن (19) تأليف رياض سوريال- مكتبة المحبة.
3. الأقباط (النشأة والصراع) تأليف ملاك لوقا- مكتبة أنجيليوس.
4. المسيحية عبر تاريخها في المشرق- تحرير حبيب بدر وسعاد سليم وجوزيف أبو نهرا- مجلس كنائس الشرق الأوسط ( مقالة: الإرساليات والكنائس الإنجيلية في المشرق لأديب نجيب سلامة).